كل ياكمي

أحيانا تكون العزلة من الجهلة في زمن تسيطر عليه الروح المادية و المصالح الذاتية أمرا حكيما. ذلك ما فعله العالم الكبير الشيخ ميثم البحراني – المتوفى سنة (625هـ) حيث اعتزل بعض العلماء و الناس , فكتب إليه هؤلاء رسالة يلومون فيه عزلته .. جاء فيها :(العجب منك مع شدة مهارتك في جميع العلوم والمعارف و حذاقتك في تحقيق الحقائق و إبداع اللطائف , قاطن في ظلول الاعتزال و مخيم في زاوية الخمول الموجب لخمود نار الكمال...)

فكتب الشيخ ميثم في جوابهم:

طلب فنون أبغي بها العـــلى ... فقصر بي عما سموت به القـــل

تبين لي أن المحاسن كلهـــا ... فروع و أن المال فيها هو الأصل

فلما توصل إليهم الكتاب ردوا عليه (إنك أخطأت في ذلك خطأ ظاهرا, و حكمك بأصالة المال عجب)!

فكتب في جوابهم هذه الأسطر و هي لبعض الشعراء:

قد قال قوم بغير علـــم ... ما المـــرء إلا بأكبريه

فقلت قول امرئ حكيم ... ما المـــرء إلا بدرهميه

من لم يكن درهم لـــديه ... لم تلتفت عروسه إليه

ثم لما رأى أن المراسلات لا تنفع هؤلاء عزم العراق لزيارة عتبات الأئمة الطاهرين عليهم السلام, و في أحد الأيام لبس أخشن ثيابه و ارتها و دخل مجلسا من مجالس أولئك الأشخاص فسلم عليهم , فرد عليه بعض و لم يجبه آخرون, فجلس في صف النعال و لم يلتفت إليه أحد ودار بين الحاضرين بحث حول مسألة علمية صعبة من دون حل فأجاب عنها الشيخ ميثم بتسعة أجوبة دقيقة جميلة. فتوجه إليه بعضهم مستهزأ و قال له : (يا خليلك, أخالك طالب علم....).

ثم بعد ذلك أحضروا الطعام و لم يطعموه معهم , بل أفردوا له بشيء قليل من الطعام في صحن و اجتمعوا على المائدة , فلما انقضى المجلس قام و عاد في اليوم التالي إليهم و قد لبس ملابس فاخرة بهية, لها أكمام واسعة و على رأسه عمامة كبيرة , فلما قرب منهم سلم فقاموا تعظيما له و استقبلوه تكريما به و اجتهدوا في توقيره , و أجلسوه في صدر المجلس المشحون بالعلماء , ولما شرعوا في البحث تكلم معهم بكلمات عليلة لا وجه لها من الصحة و العلمية. و لكنهم قابلوا كلماته بالتحسين و أذعنوا له على وجه التعظيم , ثم حضرت المائدة فبادروا إليه بأنواع الطعام بأدب و احترام , فالقى اليخ (قدس االاه روحه) كمه في ذلك الطعام و قال : (كل ياكمي , كل ياكمي).

فتعجب الحاضرون و استغربوا من فعله هذا ثم استفسروا عن معنى ذلك الخطاب , فقال الشيخ: (إنكم أتيتموني بهذه الأطعمة اللذيذة لأجل أكمامي الواسعة لا لمكانتي العلمية , و إلا فأنا صاحبكم بالأمس , لم أرى منكم تكريما و لا تعظيما إذ جئتكم بهيئة الفقراء و سجية العلماء, واليوم جئتكم بلباس الجبارين و تكلمت بكلام الجاهلين فقد رجحتم الجهالة على العلم, و الغنى على الفقر, وأنا صاحب الأبيات التي أرسلتها لكم في أصالة المال و فرعية الكمال فقابلتموها بالتخطئة و زعمتم انعكاس القضية).

فاعترفوا بخطئهم و اعتذروا مما صدر منهم من تقصير في حقه.

و في الحديث عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام : " عجبت لمن يفكر في مأكوله كيف لا يفكر في معقوله".

قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله
"ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر"
بحار الأنوار / كتاب العلم / حديث 8 مجلد 87

ساهموا معنا في نشر هذه القبسة

---

http://www.alnashaba.net
Email: qabasat@hotmail.com